

وجهة نظر وليم ديمون في النمو الاجتماعي والأخلاقي

د. حسين عبدالفتاح الغامدي

قام ديمون Damon (1977، 1983) بمحاولة مشابهة لما قام به كولبرج معتمدا على تحليل أفكار الأفراد عن العدالة وذلك بالاعتماد على قصص تقيس العدالة الا انها لا ترتبط بكسر القوانين. وقد حدد أيضا ثلاث مستويات عامة للنمو يشمل كل منها مرحلتين فرعيتين.

المستوى الأول: ويشمل مرحلتين هما:

1. المرحلة 0-A (الذاتية المطلقة): وتمتد من الولادة إلى سن أربع سنوات. يكون الطفل فيها ذاتيا مدفوعا لتحقيق رغباته دون إبداء مبررات اذ يخطط الطفل بين العدالة والرغبة الذاتية هذا يعني ان الطفل لم يتمكن بعد من تكوين مفهوم عن العدالة الموضوعية. فيمكن للطفل ان يرى من العدالة ان ياخذ اكثر من اخته دون القدرة على ابداء أي مبرر.

2. المرحلة 0-B (الذاتية المبررة): من سن 4 إلى 5 سنوات. يتمكن الطفل في هذه المرحلة من تقديم تبريرات للقيم التي يتبناها والاختيارات التي يراها عادلة، إلا أن هذه التبريرات شكلية غير منظمة ، فمثلا قد يبرر الطفل طلبه بالحصول على كمية اكبر من اخته لانه الأكبر أو لأنه الذكر... وهكذا.

المستوى الثاني: ويشمل أيضا مرحلتين هما:

3. المرحلة 1-A (المساواة المطلقة): وتمتد من 5 إلى 7 سنوات ويؤمن الأفراد فيها بالمساواة المطلقة لمنع حدوث المشكلات، فقد نجد على سبيل المثال أن الأفراد يصرون على أن يأخذ كل فرد نفس المقدار بصرف النظر عن أي اعتبارات أخرى.

4. المرحلة 1-B (التبادلية): وتقع بين سن 6 -9 ويؤمن الأفراد فيها بالعلاقات السببية والعلاقة التبادلية المتبادلة بين الأعمال والسلوك. وعلى سبيل المثال، نجد أن الفرد في هذه المرحلة يؤمن أن من العدالة أن يتناسب مقدار الأجر مع مقدار العمل الذي يقوم به كل فرد. قد يستحق الجميع الثواب الا ان البعض اكثر استحقاقا فالنتائج تتناسب مع المقدمات. ولذا فاننا قد نجد ان الاطفال في هذه المرحلة يبررون انهم يستحقون اكثر لانهم انجزوا اكثر.

المستوى الثالث: ويشمل أيضا مرحلتين هما:

5. **المرحلة 2-A (النسبية الأخلاقية):** يصل الفرد في هذه المرحلة إلى الإيمان بنسبية العدالة، حيث يرون انه لا بد من وجود مبرر منطقي للحكم العادل، كما انه لا بد من مراعاة بعض الاعتبارات الخاصة -مثل ذوي الحاجات- عند إصدار الأحكام الأخلاقية. لكل فرد حق في الحصول على العدالة، الا انه لابد من التضحية لحل المشكله وابقاء الحياة الاجتماعية. محمد يستحق اكثر من على لانه انجز اكثر من على، لكن لابد من ادراك ان على اصغر.

6. **المرحلة 2-B (التكامل):** يدرك الفرد في هذه المرحلة حاجات الافراد المتعارضة و تظهر قدرته على التنسيق بين هذه الحاجات المتضاربة وفقا لمتطلبات الموقف فكل شخص يحصل على حقه مع العلم أن هذا لا يعني التساوي. ذلك انهم ينظرون الى العدالة كوسيلة لتحقيق اهداف اكبر ولتحقيق الخير او الصلاح الاجتماعي Social Good. ان نظام الاثابة ليس جامدا فهو ذو اهداف اجتماعية اذ يجب ان ينظر اليه من خلال تأكيده للانتاجية وتحقيق الترابط والاهتمام الاجتماعي وغيرها من المبادئ الاخلاقية العامة. وباختصار يمكن القول انه بالرغم من تعدد النظريات المعرفية المفسرة للنمو الأخلاقي إلا انه يمكن ملاحظة التشابه بينها ذلك أنها جميعا تعتمد على فكر بياجيه و تنظر إلى النمو في التفكير الاجتماعي والأخلاقي في ارتباطه بالنمو المعرفي لدى الإنسان والذي يعكس تطورا عام للنمو يمثل نقلات كيفية من الفكر المتمركز حول الذات إلى التفكير الاجتماعي ثم إلى التفكير الإنساني.